التربية الروحية ودورها في صناعة الانسان عند الشيخ أحمد التجاني

Spiritual education and its role in shaping humanity according to Sheikh Ahmed Tedjani

الجموعي بن الذيب[1]*

[1] جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي (الجزائر)، djemouidz39@gmail.com

تاريخ الاستقبال: 2025/11/01؛ **تاريخ القبول**: 2026/02/17؛ **تاريخ النشر**: 2026/10/01

ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على ما ميز التصوف التجاني من الاهتمام بتكوين الفرد المتكامل الصانع للحضارة، مبيّنة الدور الريادي للشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه كرجل إصلاح ومجدد للفكر الإسلامي في زمن تلاشت فيه أنوار الحضارة الإسلامية جرّاء ما أصابها من انحلال روحي وأخلاقي، محاولين من خلال هذه الورقة البحثية التنويه إلى مكانة الشيخ الواعظ والمربي الذي كان همّه اصلاح الفرد المسلم كلبّنة أولى للتغيير الحضاري من خلال إعداد الفرد التجاني فكريا و عقائديا وسلوكيا، متطلعا بذلك الى أفاق وحدة وأخوة إسلامية، مما يصوغ الحديث عنه كمهندس حضاري وعالم إنساني.

الكلمات المفتاحية: أحمد التجاني، تصوف، تربيّة روحية، حضارة.

Abstract: This study aims to highlight what distinguished Tedjani Sufism in its focus on forming the integrated individual who creates civilization, demonstrating the pioneering role of Sheikh Sidi Ahmed Tedjani, may God be pleased with him, as a reformer and renewer of Islamic thought at a time when the lights of Islamic civilization had faded as a result of the spiritual and moral decay that afflicted it.Through this research paper, we attempt to highlight the status of the sheikh, preacher, and educator whose concern was reforming the Muslim individual as the first building block for civilizational change by preparing the Tedjani individual intellectually, doctrinally, and behaviorally, looking forward to the horizons of Islamic unity and brotherhood, which shapes the .discussion about him as a civilizational engineer and a human scholar

Keywords: Ahmed Tedjani ;mysticism ;Spiritual education ;civilization

* المؤلف المرسل .

I- مقدمة :

يمثل التصوف أحد أشكال الفلسفة الاسلامية، بل هو من الركائز الاساسية حيث سطعت شمسه في المشرق والمغرب الاسلامي، فكان له الدور الكبير في إثراء الفكر الاسلامي، فيهتم بالسلوك الانساني و تهذيبه للارتقاء به الى درجات الكمال من خلال ما ينتهجه من أسلوب مجاهدة النفس وتزكيتها عن طريق التربية الروحية، وهذه العملية التربوية مثلما تستلزم وجود التلميذ فإنها تستوجب وجوب المربي أوالشيخ في المفهوم الصوفي، لذلك يقول ابن عاشر في متنه:

يصحبُ شيخا عارفَ المسالك ... يَقيهِ في طريقِهِ المَهَالِك

يُذَكِّرُهُ الله إذا رآهُ ... ويوصلُ العبدَ إلى مولاهُ

يُحاسبُ النفسَ على الأنفاسِ ... ويَزِنُ الخاطرَ بالقِسْطَاسِ.

وقد مثّل الشيخ أحمد التجاني (1737بعين ماضي- 1830 بفاس) رضي الله عنه، صورة رجل التصوف والمربّي للأجيال في زمن تلاشت فيه القيم والمبادئ وانحطت الأمة الإسلامية، فسطع نجمه من خلال ما له من فكر تربوي تطبيقي تمثّل في التربية الروحية للمريدين السالكين للطريقة التجانية.

فما هي أهداف التربية الروحية التجانية على الصعيد الفردي والاجتماعي؟ وكيف كان تأثيرها حضاريا؟

II- مفهوم التربية الروحية عند أحمد التجاني:

هي التربية التي تتعلق بالروح والنفس، وهي تعمل على نماء واصلاح القلوب وتطهيرها من الدنس والامراض، وترقيتها وتزكيتها من حيث ان نجاح المؤمن يكون بمعرفة عيوب النفس ونقائصها ودسائسها والعمل على إصلاحها، وهذا بتوجيهات الشيخ المربي، وقد اهتم الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه بالتربية الروحية من حيث أن طريقته طريقة أحمدية محمدية ربانية تستهدف اصلاح الفرد المسلم عن طريق ترغيبه في الاخلاق الحميدة وترهيبه من كل ما هو مذموم لذلك جاءت التربية الروحية التجّانية تهذيبا للنفس البشرية وإصلاحها عن طريق المجاهدة بإخلائها من المفاسد كالكبر والعظمة وتأديبها وتحليتها بأخلاق وآداب محمودة(علي حرازم 2000،صفحة 57)

فيعمل الشيخ على تصفية روح المريد لما يوجّهه إلى الوراد اللازمة في الطريقة وقراءة القرآن فيحقق بذلك السكينة النفسية للمريد،من ثم فالتربية الروحية هي أساس تغيير الذات، فصلاح الفرد وكماله يكون بتزكية نفسه أولا لقوله تعالى:« قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها »(سورة الشمس،الآية 9-10)، لذلك اهتم الشيخ بتهذيب النفس و التأديب عن طريق طريقته التي تعتبر مدرسة سلوكية لما تحتويه من جملة توصيات للمريدين وآداب يربيهم عليها، متمثلة في منهج التخلي والتحلي.

أي المنهج الذي يقوم على التخلي عن الاخلاق المذمومة والتحلي بالاخلاق المحمودة حتى ترجع النفس الى حالتها البرزخية قبل الاتصال بالبدن فتتحلى بنقاء السريرة و جلاء البصيرة، ولا يتم ذلك الا عن طريق المجاهدة وفي هذا شأنه شأن أبو حامد الغزالي الذي يرى ''المقصود من المجاهدة بالاعمال الصالحة هو تكميل النفس تزكيتها وتصفيتها''(أبو حامد الغزالي1964، صفحة 251) ، وذلك

كله من خلال الاعتماد على ما رسمته الشريعة نفسها وبهذا فان التربية الروحية هي تربية دينية تهدف الى اشباع الفرد وتزويده بالقيم الايمانية التعبدية والقيم الدينية الاجتماعية(عبد القادؤ قدوري 2017، صفحة 33-34)،

III- أهداف التربية الروحية التجانية:

يهدف الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه من خلال مدرسته السلوكية التجانية إلى:

1- بناء الشخصية التجانية خاصة والإسلامية عامة:

جاء الشيخ سيدي أحمد التجاني في زمن الانحطاط الإسلامي وخروج الانسان المسلم عن دورة الحضارة كما يرى بن خلدون، لذلك كان فكره التربوي مسلطا على إعادة بناء الشخصية الإسلامية عموما والتجانية خصوصا، وفق منهج تربوي روحي أصيل متمركز على الدين ومنطلق منه من حيث أنه المميز الأول للمجتمع الإسلامي، لقناعة الشيخ بالقوة التأثيرية للدين على احداث التغيير الفردي والجماعي والحضاري للإنسان المسلم.

فركّز الفكر التجاني على التغيير النفسي أولا باعتبار الشيخ هو معلم المريد والمربي له و«من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا» (سورة الكهف،الاية 17)، من هنا كان الشيخ أحمد التجاني كمربي صوفي طبيبا للقلوب وموجّها لها نحو الخير ومعالجا لأمراضها و منظّفا لأدرانها، ومرقّيا لدرجات عرفانها لعلمه بخزائنها السبع وجواهرها السبع من الذكر والشوق والمحبة لله والسر والروح والمعرفة والفق(علي حرازم 2000، صفحة 84)، فيكون لمن يصحبه و يسمع نصائحه الترقّي في مقامات العبادة ومعرفة الله تعالى، وهذا يحقّق معرفة المسلم حدود الله وأوامره ونواهيه فيكون قويّا مؤهلا للبناء والتشييد الحضاري بعدما تم اصلاح نفسه أولا لأن الله سبحانه و تعالى يقول : « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» (سورة الرعد، الآية 11)

لذلك يعمد أحمد التجاني الى تكوين الفرد المسلم كمؤثر لا كمتأثر، قائدا لا مقودا وهو ما دأبت عليه مدرسة النبوة والخلافة المراشدة من قبل، مما يعطي التربية الروحية التجانية بعدا حضاريا لما تعمل عليه من تحضير للإنسان الفعال الذي تفتقره الأمة الإسلامية اليوم، ومن نشر للفكر القيادي الذي يحتاجه الواقع الاجتماعي الإسلامي المنحط.

فالمربي الشيخ أحمد التجاني جاء مصلحا للنفوس ومكوّنًا للقادة باعتبار الانسان مركز الحضارة ولا حضارة من دون انسان، فكان منكبًا على اصلاح وتغيير الانسان المسلم تطبيقيا لا تنظيريا من خلال طريقته المحمدية الأحمدية مركّزا في المقام الأول على الاخلاق، وما ذهاب هيبة الأمم إلا بذهابها والأمة الإسلامية هونها اليوم من إهانتها للأخلاق، يقول احمد شوقي:

إنما الأمم الاخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

والشيخ في استراتيجيته هذه مقتديا بالمعلم والمربي الأعظم سيدا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي لخّص رسالته المحمدية في قوله "إنما بعثت لتمم مكارم الاخلاق"، لذلك ربط الشيخ الأخلاق بالشريعة الإسلامية فأعتبر "الخير كله في اتباع السنة الشريفة والشر كله في مخالفتها " (علي حرازم 2000، صفحة 65)، وهو توجيه المسلم إلى القدوة المحمدية ليكون مهذّبا كاملا عاملا مستقيما حيث قال تعالى:«

فأستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا » (سورة هود،الآية 112)، وهذا يعني مدى ارتباط الأخلاق بالنفس الإنسانية التي هي محل تهذيب وتربية وتزكية في التصوف التجاني.

إذن التربية الروحية التجّانية تهدف الى تأهيل الفرد التجاني خاصة والانسان المسلم عامة، والعمل على تحقيق توازنه النفسي والأخلاقي والفكري من خلال شعار الشيخ "بسير زمانك سر" لتحقيق عقل إسلامي متزامن مع ظروف عصره، وخروجه من غربته التي كانت سواء برحيله إلى تقليد الماضي بكماله وتمامه وبأدق تفاصيله، أو برحيله إلى الفكر الغربي الجاهز الذي بيئته ومحيطه المخالف للبيئة الإسلامية. فيكون الفرد المسلم بعيدا عن الغلو والتطرف و الرجعية، وفي منعة من الاستغراب و الاضمحلال الهوياتي.

لذلك الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه في اهتمامه بالإنسان ركزت تربيته الروحية على التعامل الإنتاجي بمعرفة الذات والنفس وتوجيهها ونقدها وبذلك فهو يهدف أيضا الى تكوين فكر تنموي وحضاري.

2- بناء مجتمع متكامل:

تهدف التربية الروحية التجانية على الصعيد الجمعي إلى بناء مجتمع فاضل وهذا يوضح البعد الاجتماعي للفكر التربوي عند الشيخ أحمد التجاني، من خلال أن التربية الروحية هي تزويد بالقيم الدينية الاجتماعية التي يلح عليها الشيخ في الكثير من رسائله أتباعه و مريديه ومنهم الى كافة المسلمين عبر كافة أقطار المعمورة، ومنها حثّه وترغيبه في التصدّق على المساكين وصلة الرحم و التنفيس عن المديونين و العفو عند المقدرة(علي حرازم 2000، صفحة 152)، وكلها قيم دينية ذات بعد اجتماعي حيث تعمل على التفاعل و الاندماج الاجتماعي، وتهدف إلى تكييف الفرد من أجل المساهمة في التغيير الحضاري من خلال خلق شبكة علاقات اجتماعية عامة، حيث يقول في هذا الصدد موصيا أتباعه: "وعليكم بصلة الأرحام من كل ما يطيّب القلب، و يوجب المحبة ولو بتفقّد الحال و إلقاء السلام، وتجنّبوا معاداة الأرحام عقوق الوالدين و كل ما يوجب الضغينة في قلوب الإخوان، وتجنّبوا البحث في عورات المسلمين فإن من تتبّع ذلك فضح الله عورته" (علي حرازم 2000، صفحة 154).

وهذه الدرر تحث على حسن المعاملة بين الأقارب خاصة والمسلمين عامة مما يمتّن العلاقات فيما بينهم ويحقّق الأخوّة في الإسلام

وبذلك يتّضح أن أحمد التجاني يتطلّع الى أفاق وحدة إسلامية من جديد، وهذا طبعا ما حققته طريقته الصوفية التجانية بين الاخوان المسلمين لما لها من امتداد عالمي على اختلاف الألسن والأجناس والألوان والأماكن فاجتمعوا كلهم في الدائرة التجانية مما عزّز اجتماعهم أكثر في الدائرة الإسلامية.

فالأخوّة الإسلامية مشروع عملت على تحقيقه الطريقة التجّانية واقعيا من خلال ما أسس لها من مبادئ من طرف مؤسسها الشيخ أحمد التجاني الذي تصب جميع توجيهاته دائما في الوحدة والتفاعل والتكافل الاجتماعي والاكثار من العفو عن الزلل والصفح عن الخلل لكل مؤمن فإن شر الاخوان عند الله من لا يقبل عذرا ولا يقيل عثرة (علي حرازم 2000، صفحة 155)، وهذا لما يحققه التسامح والمعاملة الحسنة من تآلف بين المسلمين وأخوّة. من حيث أن قيمة الأخوة هي المنبع الذي قام عليه الاجتماع الانساني في الدولة المدينة زمن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بين الانصار والمهاجرين.

لذلك رأى الشيخ أحمد التجاني أن التأسيس لمجتمع أفضل يكون بالانطلاق من تجسيد مبدأالاخوة بين أفراده، كونه يدرك مدى حاجة المجتمع الاسلامي لهذا المبدأ من حيث هو معايش لارهاصات تدهور الدولة العثمانية كممثل عن الخلافة الاسلامية والمجتمع السياسي الاسلامي

وعليه فالتربية الروحية التجانية تسعى إلى تكوين الفرد للمشاركة الفعالة في المجتمع وتحقيق حياة اجتماعية متحضّرة. وهنا تظهر مركزية الانسان في الحضارة عند الشيخ التجاني

IV–الخاتمة:

وختاما يمكن التوصل إلى أن المشروع التربوي التجّاني مشروع متأصلا دينيا وواقعيا، مؤسس على خصوصية المجتمع المسلم وظروفه هادفا إلى اصلاح الفرد والمجتمع من خلال التربية الروحية ذات البعد الفردي والاجتماعي.

ففلسفة التربية التجانية تقوم على تجسيد التكامل بين الفرد والمجتمع لأن المهمة الحضارية ليست في يد الفرد فقط، وإنما في تفاعله الاجتماعي أيضا.

وهذا الطرح كان شيخ الطريقة التجانية أحمد التجاني، فـيه سبّاقا على كثيرا من المفكرين والفلاسفة أمثال المفكر مالك بن نبي والفيلسوف الألماني هابرماس في التأسيس لمشروع مجتمع متكامل ومتجدد باستمرار لمواكبة تغيرات العصر دون التخلّي عن المبادئ والثوابت الدينية الإسلامية.

– الإحالات والمراجع :

- **القرآن الكريم**
- الغزالي أبو حامد(1964): **ميزان العمل**،ط1،دار المعارف، مصر
- حرازم علي (2000): **جواهر المعاني وبلوغ الاماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني**، (د ط)،دار التجاني، الجزائر.
- قدوري عبد القادر (2017): **التربية الروحية آلية التواصل الاجتماعي**، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، الجزائر.